الرسالة

(أفسس ٤: ١–٧)

يا إخوةُ أطلُبُ إليكم أنا الأسيرَ في الربّ أن تسلُكوا كما يَحِقُّ للدعوةِ التي دُعيتُم بها* بِكُلِّ تواضُعٍ ووَداعةٍ وبِطُولِ أناةٍ محتَمِلَين بعضُكم بَعضاً بالمحبَّة* ومجتَهدينَ في حِفظِ وِحدَةِ الروحِ بِرِباطِ السلام* فَإنَّكم جَسدٌ واحدٌ وروحٌ واحد كما دُعيتُم إلى رَجاءِ دعوتِكُمُ الواحِد* ربٌّ واحِدٌ وإيمانٌ واحِدٌ ومعموديَّةٌ واحِدةٌ* وإلهٌ آبٌ للجميعِ واحدٌ هوَ فوقَ الجميعِ وبالجميعِ وفي جميعِكم* ولكلٍّ واحدٍ مِنَّا أُعطِيتِ النِّعمَةُ على مقدارِ موهِبَةِ المسيح.

الإنجيل

(لوقا ١٨: ١٨–٢٧)

في ذلك الزمان دنا إلى

قدّيسنا بورفيريوس

ولد إفانغيلوس بيركداريس في ٧ شباط ١٩٠٦ في جزيرة إيفيا اليونانيّة، لعائلة فقيرة ورعة في بيئة قرويّة زراعية. كان والده مرتّل القرية، وكان القدّيس نكتاريوس (+١٩٢٠) يستدعيه لمرافقته في الخدم الكنسيّة خلال زياراته الرعائيّة للمنطقة، لكنّ الفقر اضطرّه على الهجرة إلى العالم الجديد للعمل في شقّ قناة باناما. غادر إفانغيلوس المدرسة بعد عامين من الدراسة الابتدائيّة وعمل كراعٍ للمواشي في مزرعة العائلة منذ سنّ الثامنة.

علّمه والده صلاة البراكليسي (الإبتهال) لوالدة الإله ومبادئ الإيمان المسيحيّ، فكان منذ صغر سنّه جادًّا رصينًا خَفِرًا. عَمِلَ لفترةٍ في منجم، ثمّ في مقهى، وكانت الصلاة ملجأه وعزاءه. قرأ سيرة القدّيس يوحنا الكوخيّ فأحبّه واشتهى الاقتداء به. إستقلّ سفينةً، وهو بعدُ في سنّ الرابعة عشرة، وانطلق نحو الجبل المقدّس آثوس. شاءت العناية الإلهيّة أن يلتقي على متن السفينة بأبيه الروحيّ الشيخ بندلايمون الذي تبنّاه في تلك اللحظة واصطحبه إلى بريّة كافسوكاليفيا في آثوس ليقيم معه ومع الراهب يُوانيكيوس في قلاية القدّيس جاورجيوس.

دخل المبتدئ الصغير الحياة الرهبانيّة بحماسة كبرى. كان محبًّا لأبويه الروحيَّين في المنسك، متفانيًا في طاعتهما. بات مثالًا للراهب النشيط المجاهد في العمل والصلاة والصوم والسهر والزهد. جعله نقاء الفكر والحواس يقِظًا في كلّ شيء، مصغيًا إلى كلّ كلمة تُتلى في الخدم الليتورجيّة لكي يحفظها عن ظهر قلب، وعاكفًا على قراءة الإنجيل ليتشرّب كلماته ومعانيه الإلهيّة الحاملة النعمة. سيم راهبًا باسم نيكيتاس فبات زينةً للمتوحّدين.

زارته نعمة الروح القدس وهو بعد يافعٌ حين قصد فجرَ أحد الأيّام كنيسة الثالوث القدّوس في كافسوكاليفيا. لقد وصل باكرًا إلى الكنيسة التي كانت بعد مقفلةً، فجلس في زاوية الرّواق الخارجيّ منتظرًا مَن يفتح الباب، وإذا براهبٍ شيخ طاعن في السنّ اسمه ديماس دخل الرواق وشرع بالركوع والتضرّع أمام أيقونة

العدد ٤٨ / ٢٠١٧

الأحد ٢٦ تشرين الثاني

تذكار أبوينا البارَّين

أليبيوس العجائبي ونيكُن المستتيب

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الثالث

الثالوث القدّوس التي تعتلي باب الكنيسة المغلق، من دون أن يلاحظ أنّ الراهب الشابّ جالس خلفه في الزاوية. هناك فاضت النعمة الإلهيّة من الشيخ ديماس وانسكبت على الراهب نيكيتاس الذي كان مستعدًّا لتلقّيها، فملأت كيانه نورًا.

كان «هذا تغيير يمين العلي» (مز ٧٧: ١٠) في شخص نيكيتاس، نفسًا وجسدًا. بدأت مفاعيل نعمة التقديس ومواهب الروح القدس تظهر فيه. أضحى نموذجًا للرهبان محبّي المسيح المتواضعين. كان يصلّي فتُستجاب طلباته. بدأ يفهم لغة العصافير والحيوان، ويعاين ما يحصل في مناطق بعيدة أو في أعماق الأرض من مياه، أو إشعاعات... أو مواقع أثريّة مدفونة. كان يميّز أفكار الناس المخفية ويدرك، بالروح القدس الساكن فيه والذي يعلم كلّ الأسرار والخفايا، الماضي والحاضرَ والمستقبل. لكنّه تابع جهاده اليوميّ في الطاعة والفقر والعفّة خاضعًا بفرح واتّضاع لمشيئة أبويه الروحيَّين.

حين بلغ التاسعة عشرة من العمر، وعلى الرغم من محبّته للحياة النسكية في قفار آثوس، ألمّت به حمّى كادت تودي بحياته، الأمر الذي اضطرّه على مغادرة الجبل المقدّس والعودة إلى العالم. عاد إلى مسقط رأسه في جزيرة إيفيا وأقام في دير للقدّيس خارالمبس تابع فيه برنامجه الرهبانّي، لكنّه اضطرّ على تعديل برنامج صومه إلى أن تحسّنت صحّته. لاحظ المطران بورفيريوس الثالث، رئيس أساقفة سيناء، فضيلته فسامه شمّاسًا وكاهنًا عام ١٩٢٧ مسمّيًا إيّاه بورفيريوس. أثناء زيارته لأبرشية كاريستيا (مقاطعة في محافظة إيفيا) جعله مطرانها أبًا روحيًّا معزّفًا، فتسارع المؤمنون نحوه للإعتراف بخطاياهم والتخلّص من أعباء الآثام التي تُثقل كاهلهم. بقي مدبّرًا أمينًا للنفوس التائبة في إيفيا حتّى العام ١٩٤٠. كانت حشود المؤمنين تتدفّق صوبه فكان يصرف الساعات والأيام في الإصغاء إلى المعترفين وتدبير توبتهم بإرشاده المستنير، منقذًا إيّاهم من حِيَل الشيطان وفخاخه. نال عام ١٩٣٨ رتبة أرشمندريت تقديرًا لخدمته الأمينة.

إنتقل القدّيس، مع بداية الحرب العالميّة الثانية، إلى كنيسة القدّيس جراسيموس التابعة للمستشفى المركزيّ قرب ساحة أومونيا في أثينا حيث خدم الجرحى والمرضى والمضنيّين كأب حقيقيّ بالمسيح مدّةَ ثلاث وثلاثين سنة. كان مثال الكاهن المتفاني في إقامة الصلوات الليتورجيّة ورعاية المحتاجين، شافيًا النفوس والأجساد، كما أنّه ماثل نسّاك الصحراء العُظماء بنقاء سيرته وصلاته المستمرّة على الرغم من إقامته وسطَ صخب المدينة. عام ١٩٧٣ إستأجر من مدّخراته القليلة ديرًا صغيرًا للقدّيس نيقولاوس الواقع قرب دير بندِلّي في منطقة كاليسيا المتاخمة لأثينا ليتابع عمله الإرشادي. وكان يرغب في إنشاء دير كبير في منطقة ميليسي ـ أوروبو التي إنتقل إليها عام ١٩٧٩.

لم تكن صحّته على خير ما يرام. عانى من عدّة أمراض وآلام مذ غادر آثوس في شبابه. خضع لعمليّة جراحيّة دقيقة في كبده، وأُخرى في عينه اليسرى. عانى من كسر في رجله، ومن نوبة قلبيّة ألمّت به، ومن أسقام مختلفة توالت عليه مع تقدّمه في السنّ، إلى أن ضعف جسده وأقعده الوهن بعد أن

يسوعَ إنسانٌ مجرِّباً لهُ وقائلاً أيُّها المعلّمُ الصالحُ ماذا أعمَلُ لأرِثَ الحياةَ الأبديَّةَ* فقالَ لهُ يسوعُ لماذا تدعوني صالحاً وما صالحٌ إلاَّ واحدٌ وهو الله* إنَّك تعرِفُ الوصايا لا تزنِ، لا تقتُلْ* لا تسرِقْ، لا تشهَدْ بالزور، أَكرِمْ أباك وأمَّك* فقال كلُّ هذا قَدْ حفِظْتُهُ منذُ صبائي* فلمَّا سمِعَ يسوعُ ذلك قال لهُ واحدةٌ تَعوزُك بعدُ. بِعْ كلَّ شيءٍ لك وَوَزِّعْهُ على المساكين فيكونَ لك كنزٌ في السماءِ وتعالَ اتبعْني* فلمَّا سمع ذلك حزِنَ لأنَّهُ كان غنيًّا جدًّا* فلمَّا رآهُ يسوعُ قد حزِن قال ما أعْسَرَ على ذوي الأموالِ أن يدخلوا ملكوتَ الله* إنَّهُ لأَسهلُ أنْ يدخُلَ الجملُ في ثَقب الإبرَةِ من أن يَدخلَ غنيٌّ ملكوتَ الله* فقال السامِعون فَمن يستطيعُ إذاً أن يَخلُصَ* فقالَ ما لا يُستطاعُ عند الناسِ مُستطاعٌ عند الله.

تأمل

ليس المسيحيّون أعداء الدولة والجنس البشريّ، بل يحبّون جميع البشر، ويعملون للسلام الحقيقيّ في العالم.

نحن جسدٌ من حيث شعورنا المشترك بإيمان واحد ووحدة التنظيم ورباط الرجاء. نحن، مثل فرقة عسكريّة متراصّة، نؤلّف، بصلواتنا، رابطة تجعلنا مجتمعين، بائتلاف، حول الله.

نحن نصلّي من أجل الأباطرة... كما نصلّي من أجل القوى حولهم، ومن أجل العصر الذي نعيش فيه، ومن أجل سلام العالم، ومن أجل إرجاء النهاية.

في أثناء اجتماعاتنا، نقرأ في الكتب المقدّسة... فنغذّي، بهذه الكلمات المقدّسة، إيماننا، ونمكّن ثقتنا، ونوثّق روابط انضباطنا، بالتزامنا المبادئ. وفي هذه الاجتماعات، نحثّ، باسم الله، بعضنا بعضاً على عمل الخير والإيمان والتأديب والرقابة الذاتية...

يرأس اجتماعاتنا شيوخ مختبرون. وهم لا ينالون هذا الشرف الكبير بالمال، بل بالشهادة لفضيلتهم، لأنّه ما من أمر، يتعلّق فقد البصر بشكل كامل عام ١٩٨٧. كان يصلّي بصمت، وبمحبة كبرى، وتواضع أقصى، فيعاين بفرح روحيّ فعل النعمة الإلهيّة في كلّ من يلتجئ إليه. كان إناءً مختارًا للروح القدس أفاض في الكنيسة عطر فضائله الإلهيّة وأنار النفوس بإرشاده الحكيم وبصيرته الروحيّة الرائية.

إنتقل عام ١٩٧٩ ليقيم في أرض اشتراها في منطقة ميليسي قرب أوروبو لتأسيس دير التجلّي الذي طالما أراده كمقرٍّ لتلميذاته، والذي انطلقت ورشة بنائه عام ١٩٨٠. كان يتابع بعينه الروحيّة سير أعمال البناء والتجهيز.

تمكّن الشيخ القدّيس من استعادة قلاية القدّيس جاورجيوس في كافسوكاليفيا حيث بدأ مسيرته الرهبانيّة، فأرسل إليها خمسة من تلاميذه الرهبان. عام ١٩٩١ عاد إلى منسكه في الجبل المقدّس حيث أملى وصيّته على أحد الرهبان وأوصى بكيفيّة دفنه. رقد بالرب فجر الثاني من كانون الأول عام ١٩٩١ مردّدًا عبارة: «آمين، تعال أيّها الربّ يسوع» (رؤ ٢٢: ٢٠). لم تُعلَن وفاته قبل دفنه في الثالث من كانون الأوّل. أمّا قداسته فقد أُعلنت عام ٢٠١٣. تعيّد له كنيستنا في الثاني من كانون الأول.

الإبن العاق

أن يكون الإنسان تلميذًا يعني أن يتعلّم خصال معلّمه ليصير شبيهًا له. إنّ التلمذة بمثابة البنوّة من خلالها يصبح التلميذ ابنًا لمعلّمه الذي يزرع فيه الخصال التي يُفترض أن تكون حميدة. مثلما يتعلّم الطفل من والديه ما هو صالحٌ وخيِّر، كذلك يحصل مع الكبار. يحاول الأهل زرع الأفضل في نفوس أبنائهم، ويجهدون في أن يكون أبناؤهم على مستوى عالٍ من الخُلق والمعرفة والفهم. الحالة الطبيعيّة بشريًّا هي أن يمنح الإنسان أبناءه العطايا الجيّدة، الأمر الذي تحدّث عنه الربّ يسوع حين قال: «تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيّدة» (لو ١١: ١٣). نجد أحيانًا، على الرغم من الزرع الصالح الذي يغرسه الأهل في أولادهم، أنّ ثمّة أولادًا يضلّون الطريق مسبّبين الخزي لأهلهم. السبب في ذلك لا يعود إلى الأهل فقط، إذ تدخل أيضًا تأثيرات إجتماعيّة يتعرّض لها الأبناء بسبب إنخراطهم في مجتمعاتٍ مختلفة كالمدرسة والأصدقاء والمحيط السكنيّ. هناك يتعرّض الأبناء أحيانًا لأنواعٍ من التشتّت لا يرغب فيها الأهل، وقد ينجرفون إلى تصرّفاتٍ غير التي زرعها أهلهم فيهم.

أن تكون إبنًا لأحدٍ، وأن تنسب ذاتك إليه، يعني أنّ خصاله مغروسة فيك. يتربّث التلميذ أو الإبن أمام المواقف الدقيقة ليفكّر في ما كان ليفعله معلّمه في هذا الموقف، وهذا موقف التلميذ والإبن الحقّ. لا يعني هذا الواقع أن يمحو الإنسان ذاته وفكره، بل أن يعود إلى الأسس التي تربّى عليها ليفتخر هو بذاته ولا يندم لاحقًا على أفعاله، كما ليكون أبوه أو معلّمه فخورًا به فينظر غرسه مثمرًا لا يابسًا أو تخنقه الأشواك كما ورد في مثل الزارع الكتابيّ.

أن تكون إبنًا يعني أن تفعل ما تعلّمته من والدَيك وأن تنفّذ ما يطلبانه منك بهدف المنفعة العامّة والشخصيّة. عندما يطلب منك معلّمك أمرًا وتتصرّف خلافًا له، لا يحقّ لك فيما بعد أن تحسب نفسك

إبنًا أو تلميذًا له. إن تصرّفت كما علّمك وأتت النتيجة صالحة، حينئذٍ يفتخر كلاكما متواضعَين بنجاحك وتقدّمك الشخصي. أمّا إن تصرّفت على خلاف ما يطلبه منك وفشلت، فعليك أن تكفّ عن اعتبار نفسك تلميذًا وتشعر بالعار منفردًا ومتحمّلاً وزر أعمالك المخالفة لِما تربّيت عليه.

يلدنا الكاهن، في الكنيسة الأرثوذكسيّة، داخل جرن المعموديّة ولادةً روحيّةً بالمسيح يسوع. نلبس بواسطة المعموديّة المسيحَ ونُختم بالميرون المقدّس فننال مواهب الروح القدس كما حصل مع التلاميذ يومَ العنصرة. يُفترض بهذه الولادة أن تحيينا روحيًّا، وتجلب لنا الفرح لا الخزي في اليوم الأخير. يكون الكاهن هنا الأب الروحيّ والمرشد إلى طريق الحقّ لنثبت في الإيمان القويم والحياة الموافقة لتعليم الكتاب المقدّس. يتبع المؤمنون كاهنهم ويستقون منه التعليم، أقلّه من خلال العظات التعليميّة التي يلقيها عليهم خلال القدّاس الإلهي والإجتماعات الروحيّة. لن تكون ثمار الكاهن كلّها صالحة، على الرغم من أنّه يرجو ذلك. فالرب يسوع نفسه تبعه اثنا عشر تلميذًا سمعوا كلامه وعاينوا معجزاتٍ لم يقم بها أحدٌ من قبل، إلّا أنّ واحدًا منهم لم يضلّ وحسب، بل تجاسر على أن يُسلم الربّ للصلب بائعًا إيّاه بثلاثين من الفضّة. سارت الكنيسة على خطى السيّد، فكان للرسل تلاميذهم. لاحقًا، إستمرّت حالة التلمذة على أيدي الأساقفة والكهنة، فبرزَ مبدعون في الحقل الرعائيّ والدفاعيّ. آخرون سمعوا التعليم عينه، لكنّهم تطرّفوا وخالفت تصرّفاتهم قداسةَ معلّمهم، فظهر إلى جانب المدافعين عن الإيمان القويم كثيرٌ من الهراطقة حاولوا تشويه هذا الإيمان الذي حافظت عليه الكنيسة عبر الأجيال.

أن تكون إبنًا يعني أن تلازم أباك وتستقي منه المعرفة وحسن التصرّف، فتلازمك تعاليمه وتصير ناموسًا لك. إن زرتَ ديرًا أو كنيسة وقابلت كاهنًا هناك وتحدّثتَ معه على انفرادٍ، فهذا لا يعني أنّك صرت تلميذه أو إبنه. التلميذ، كما أشرنا، هو من يرافق معلّمه ليتعلّم منه حسن التصرّف، بخاصّة في مواجهة الأزمات والمِحَن. لا شيء يمنع إنسانًا من أن ينسب نفسه إلى شخص أو يدّعي بأنّه تلميذه. يظنّ هذا الإنسان أنّه بذلك إنّما يجلب لنفسه فخرًا، إلاّ أنّ هذا الإفتخار الشخصيّ يجلب الخزي والعار للمعلّم الذي لم يتسنَّ له أن يزرع في نفس هذا «التلميذ» أيّ تعليم. أمّا إذا كان هذا الإنسان تلميذًا فعليًّا وجاءت تصرّفاته مخالفة لِما تعلّمه، فهو لا يزال فطيرًا لم يختمر، أي لم يصل إلى مرحلةٍ يدعو نفسه فيها إبنًا.

هي حالٌ واحدة بين البنوّة البيولوجيّة والبنوّة الروحيّة. على الإبن في كلا الحالَين أن يكون صورةً تتجلّى فيها أخلاق مَن ولده. إن نظر أحدٌ إليك، يجب أن يرى في تصرّفاتك صورة من تعلّمت منه. إن حَمَلت تصرّفاتك الفوضى وعدم الأخلاق وكنت أداة للعثرة، فخيرٌ ألاّ تُطلق على نفسك لقب «ابن» أو «ابنٍ روحيّ» لأنّك «إبن عاق».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

بالله، يُثمّن بالمال.

وإذا كان لدينا صندوق مال مشترك، فلا يتكوّن من مبالغ فخريّة يقدّمها أفراد النخبة، كما لو أنّ الديانة تعرض في المزاد العلنيّ، بل كلّ واحد منّا يقدّم شيئاً زهيداً، على قدر استطاعته وإمكانيّته، في يوم معيّن من الشهر، أو في اليوم الذي يختاره، أو حين يستطيع ذلك، من دون أن يُرغمه أحد على الدفع. ولا تُصرف مبالغ في سبيل المآدب أو جلسات السكر، بل من أجل إطعام الفقراء أو دفنهم، ومساعدة الأيتام من شبّان وشابات يفتقرون إلى المال، والخدّام الطاعنين في السنّ، والمعوزين والمسيحيين الذين يعذَّبون في سبيل الله. وهذه الأعمال الخيّرة، التي نمارسها، هي، في نظر الكثيرين، وصمة معيبة، ويقولون: «انظروا كيف يحبّون بعضهم بعضاً». لأنّ الذين ينتقدوننا يكرهون بعضهم بعضاً.

القديس ترتليانوس